

كان لها تأثير قوى بعيد المدى في مكانة اللغة العربية وهي كما يلي :

(أ) استبدال القانون الوضعي بالشريعة الإسلامية
(ب) انخراط نظام التعليم الاجنبي (الانجليزي / الفرنسي) وتوطيده بالطرق الاستعمارية ، وتكسب خطورته (لولا) في العلمانية اى عدم كون الشريعة الإسلامية النواة للتعليم كله ، و (ثانيا) في خلق اللغة العربية عن عرشها واغتصاب السيادة للغة الاجنبية في التعليم وتنفيذة الفكر وتطوير اساليب الحياة وفي ادارة الحكم والاتصالات الدولية والشؤون الصناعية والتجارية .

(ج) بذر بذور الوطنية والقومية الضيقة لتزييق اوصال العالم الاسلامي ومزاحمة الشعور بالاخوة الاسلامية ، ومن مظاهرها البارزة الاعتزاز باللهاجات الدارجة ضد العربية الفصحى في البلاد العربية واللغات المحلية ضد العربية (= لغة العرب) في البلاد الاسلامية غير العربية . كما ان من تطرفاتها المنطقية الدعوة الى استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي .

ومن الاغلوطنات الشائعة ان الاستعمار في البلاد الاسلامية غير العربية واد اللغات المحلية او نصب العداء لها بينما الحقيقة ان الاستعمار هو الذي نشر فكرة « لغة الام » وتولى رعاية اللغات المحلية بل تلتفها وشجعها لتزاحم اللغة العربية (والفارسية ايضا) كما انه هو الذي حاول تمجيد اللهجات الدارجة واحياء البربرية وما اليها للقضاء على العربية الفصحى في البلاد العربية وكاثت النتيجة ان الاردية مثلا تشجعت في عهد الانجليز حتى احتلت مكان العربية في الحياة الثقافية بينما هي لم تقو على ان تزحزح الانجليزية من مكانها لان ويصدق هذا القول على اللغات المحلية في البلدان الاسلامية الاعجمية الاخرى .

وبما انه ليس من السياسة الممثلة التخلي عن الدين تماما بالنسبة لعامة الشعب المسلم في اى بلد كان، عربي او غير عربي ، كان التحول الخطير السالف الذكر سببا للاهتمام بتراجم القرآن بدل الاهتمام بالقرآن العربي وهلم جرا الى ان فوجئنا بدعوة صريحة وقحة الى الاذان والصلوة باللغات المحلية !!

واخطر منها بكثير ما حدث منذ الاستقلال اعنى الاستغناء عن العربية في تعليم الدين ووضع مادة

تدر ضئيل من الشريعة الاسلامية وهو الذي يخضع الاحوال الشخصية فقط ؟ اما دراسة الشريعة الاسلامية في المعاهد الخاصة بها فهي دراسة علمية نظرية بحثة ، ومثل تلك الدراسة لا تبرز البيئة الاسلامية الى الوجود في الخارج ، بل تشعر نفس الدارس بعدم وجودها في الواقع .

لقد كثر الكلام عن تطويع السينما والتلفزيون والراديو لاغراض خلق البيئة الاسلامية ، وهو بمثابة وضع العربة امام الحصان ليس الا - فباى حق او باى منطق يريد المسلم ان يخضع الآلات والوسائل لاغراض الاسلام قبل ان يخضع نفسه - فكره وعمله - للشريعة الاسلامية ؟

تتبين هذه الحقائق من وضع اللغة العربية فى التعليم والثقافة الاسلامية في البلدان الاسلامية غير العربية عبر العصور الى القرن التاسع عشر الميلادى :

(ا) لقد حظيت اللغة العربية بالسيادة المطلقة في برامج التعليم تبعا لمكانة الشريعة الاسلامية في حياة الشعوب المسلمة من حيث العمل الذي يستلزم الرجوع الى الشريعة في كافة المعاملات وتصرفات الحل والمعد والحرب والسلام .

(ب) احتفظت اللغة العربية بسيادتها المطلقة دون ان تزاحمها اللغات المحلية ، فكان للغة العربية مكان الصدارة في برامج التعليم والتربية في البلاد الاسلامية غير العربية حتى بعد نشأة اللغات المحلية وآدابها ونقل بعض العلوم اليها لسهولة الكثرة الكاثرة من الجهال وانصاف المتعلمين ، لا لتمجيد اللغات المحلية واستغناء العلماء والمثقفين بها عن اللغة العربية ، فلم يكن للغات المحلية الا التبعية للغة العربية ، وكان الوضع يعتبر وضعا طبيعيا في صالح اللغات المحلية نفسها .

(ج) لم توجد ولم تفرض على المسلمين بالقوة لغة اجنبية ، اعنى الانجليزية والفرنسية وما يقوم مقامها في خلق الازدواجية في الفكر والسلوك في السياسة والحكم والعوائد الاجتماعية .

الوضع الحاضر وما ينفذ به من الشر المستطير في المستقبل :

لقد جرت الامور هذا المجرى الطبيعي طوال القرون الى ان ايطاليا بالاحتلال الغربي فانتقلت الاوضاع راسا على عقب ، ولتكتف بالقول في اهم النقاط التى

جديدة باسم « الاسلاميات » و « المعارف الاسلامية » وزرعها كمادة غريبة في برامج التعليم المصرية في المدارس والكليات التابعة للحكومة ، وهذه المادة عبارة عن تراجم باللغة المحلية او الانجليزية - ربما كانت ناقصة وغير معتمدة - لبعض سور القرآن والاحاديث النبوية ومقارنة بعض المذاهب الفكرية والاقتصادية المصرية بالاسلام (بدون دراسة الاسلام دراسة اصيلة كافية) مقارنة غير سليمة وغير نزيهة في بعض الاحوال بحيث يشعر النشء بالنقص في الدين وافتقاره الى ما يكمله او يطوره من الخارج .

ولنسرده الآن بعض الاحداث شبه السياسية التي تتراءى كعالم الصوى في طريق انحراف التعليم والثقافة عن الاصاله العربية في البلدان الاسلامية غير العربية .

اولا : تركيا - وكان لها تصب السبق في استبدال الخط اللاتيني بالخط العربي ومنع الاذان باللغة العربية وقطع علاقة اللغة التركية باللغة العربية الى حد ابعاد الكلمات العربية والامتثال منها بقدر المستطاع في اللغة التركية والاعراض عن دراسة اللغة العربية بوجه خاص حتى كلفة اجنبية (لانها لن تكون اجنبية ابدا) - ومهما قيل عن تحسن الاوضاع وظهور اتجاهات جديدة في الآونة الاخيرة فان الحقيقة لا تزال تحز في النفس ان العربية مبعدة خارجة عن برامج التعليم القومية والثقافة العامة للشعب التركي المؤمن بالاسل .

ثانيا : ايران - غمرت ايران ايضا موجة « فارسي سره » (الفارسية المحضة) برهة من الزمن ، ولكن سرعان ما اصطدمت بصخرة الواقع الذي ابنى ان يخضع للاهواء المتطرفة فانحسرت مياه « فارسي سره » والحق يقال ان العلماء والادباء في ايران ثابوا الى الرشيد واعترفوا باهمية العنصر العربي في توام اللغة الفارسية ، ولذلك نرى ان الوضع في ايران احسن بكثير مما هو في البلاد الاسلامية الاعجمية الاخرى بدليل ان دراسة العربية اجبارية بالنسبة لطلاب الآداب فيها الى اعلى الدرجات العلمية .

ثالثا : باكستان - الدولة الفتية التي تأسست على الاسلام والاخوة الاسلامية ، الا انها سرعان ما اصبحت بالمعتم من الناحية الثقافية واصبحت فريسة للقومية الوطنية المستقرة المنتقبة بالاسلام ، وظهرت آثار هذا الداء العضال في التحمس للغة الاردية كلفة اسلامية ، وربما خيل لنا ان هذا التحمس كان بدافع

من النزعة الاسلامية وموجهاً ضد الانجليزية المنيخة بكلكلها على جميع ميادين النشاط العلمى والادارى ، لكن الحقيقة ان المتحمسين للغة الاردية كانوا موالين صادقين للغة الانجليزية حيث لم يفتروا يؤكدون عدم المساس بوضع الانجليزية كلفة ثانية محترمة اجبارية ، انما لانوا بالصمت الماكر وحذجوا تنافذهم في الظلام لينموا اللغة العربية من ان تنبوا المكائة اللائقة بها كلفة اولى في برامج التعليم الحكومية ، لانهم شعروا في قرارة انفسهم ان اللغة العربية لعداستها وغزارة مادتها وسهولة تصريفاتها واستجابتها الطويلة للحاجات العلمية هى المنافسة التى لن يسع الأردوية غير تبقيتها كلها وجدت وحيثما وجدت - اصف الى ذلك ان المتحمسين للأردوية كانوا من الذين تتقفوا ثقافة انجليزية وجهلوا العربية جهلا مزريا ، وتديما كان الناس اعداء ما جهلوا - فالغرض ان التحمس للأردوية كلفة اسلامية (ضد العربية) انما ينطوى على الكياسة البراعة الخالدة ، وانكشفت اللعبة وافتضحت النوايا حينما نادى المرحوم آغاخان الثالث بتعميم اللغة العربية وجعلها اللغة الاولى في باكستان ، ولم يلق آغاخان القبول جزافا بل دعمه بحجج وبراهين وكأنه بثاقب نظره تنبأ بالكوارث التى حلت بباكستان فعلا في صورة عدم الاخذ برأيه - « قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه » - نعم (ثار المنتصرون للأردية ضد آغاخان وبقيت الانجليزية متترجة على انتصار الأردوية الاسلامية) حسب دعاوى القوم وغلواتهم على العربية - ثم ما لبثت ان باضت وفمرخت هذه الوطنية فمئيت الاردوية بمثل ما منى به العرب عقب ثورتهم ضد الاتراك فنشبت الصراع بين الاردوية من جهة وبين اللغات المحلية مثل البنغالية والسندية من جهة اخرى وسالت الدماء في الشوارع والطرق وانتهدت المعارك باقامة نصب تذكارية لشهداء البنغالية والاردوية هنا وهناك - « الشهداء » الذين قاتلوا وقتلوا مضللين مدفوعين بحمية جاهلية والنصب التى لا يزال الفؤاة يزورونها على الطريقة الوثنية بتقديم الزهرا والرياحين في مناسبات - كل هذا والعلماء ورثة الانبياء ساكتون صامتون واذا سئلوا جججوا ولم يصرحوا والاسلاميون السياسيون حذرون وجلون من معاكسة التيار الجارف وقتنذ - وهل يرجى بعد ذلك غير ان تبقى العربية مهله منسية مغفورة لا تجد لها ناصرا ولا شهيدا - ولا يخفى ان الوضع لم يتغير جوهريا بعد مؤتمر القمة الاسلامى بلاهور وادخال مادة في دستور باكستان